مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 3 / 16 /06/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

سيميائية الرّحلة في قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير

The semiotics of the journey in the poem of: banat Souad to Kaab Bin Zuhair

الزهرة تيلبي* ZOHRA TILBI Zohratilbi23@yahoo.com	النص الأدبي	مختبر الشعريات وتحليل الخطاب/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعيّة/ جامعة باجي مختار عنابة / الجزائر
إيمان وارث IMENE WARETH imenwaret@yahoo.com	النص الأدبي	مختبر الشعريات وتحليل الخطاب/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعيّة/ جامعة باجي مختار عنابة / الجزائر

DOI : 10.46315/1714-010-003-029

الإرسال: 2020/06/25 **القبول**: 2020/09/20 **النشر**: 2021/06/16

ملخص:

النص المدروس مقتطع من البردة؛ قصيدة كعب بن زهير بن أبي سلمى، قالها في مدح النبي (ص) والاعتذار إليه. ومنها وقفنا عند مقطع الرّحلة؛ باعتبارها سلوكا حضاريا، لجأ إليه ليحافظ على وجوده. وقد تمّت على متن ناقة قويّة، ذات صفات أسطورية، مكنته من تجاوز مخاطر الصّحراء، ووصلت به إلى ممدوحه، فأجاره، واستمع إلى قصيدته، وعفا عنه، وألبسه بردته، وبذلك اتّصل بموضوع القيمة الذي خرج من أجله. فكانت رحلة مادية (عبر دروب الصّحراء)ومعنوية (من عهد قديم / الجاهلية، إلى عهد جديد / الإسلام)، خلّدت تلك الحادثة التاريخيّة، وألهمت المبدعين، واستنفرت أقلام الدارسين.

كلمات مفتاحية: سيميائية؛ الرّحلة؛ بانت سعاد؛ كعب بن زهير؛ الناقة.

Abstract:

The studied text is taken from the Burdah Kaab bin Zuhair bin Abi Salma's poem, he said in praising the Prophet (PBUH) and apologizing to him. From which we stopped at the flight section; As a cultural behavior, he resorted to it to preserve his existence. It was carried on board a strong camel, with legendary characteristics, that enabled him to overcome the dangers of the desert, brought him to his praise whom listened to his poem, pardoned him, and dressed him in his cloak. Thus, it is related to the value which he wanted. It was a material journey (through the paths of the desert) and moral (from an old era / pre-Islamic, to a new era/islam), perpetuated that historical incident, inspired the creators, and mobilized the pens of the scholars.

Keywords : simiotics ; journey, banat souad ; kaab bin zuhair ; camel.

* - الباحث المُرسل: Zohratilbi23@yahoo.com

أ- مقدمة:

تنتمي الورقة البحثية إلى حقل الأدب، وتتناول رائعة "بانت سعاد" لكعب بن زهير بن أبي سُلمى؛ في مدح سيّد المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم- والاعتذار إليه طلبا لعفوه؛ بعد أن كان قضى بإهدار دم كعب؛ لإساءته لدين الحق، وهجائه الرسول والمسلمين، واستيائه من صنيع أخيه بُجيرا الذي سبقه إلى الإسلام، في أبيات منها:

فَفَارَقْت أَسْبَابَ الهُدَى وَاتبَعْتَهُ عَلى أَيِ شَيءٍ وَيْبَ غَيْرَكَ دَلَكَا
عَلَى مَذْهَبٍ لَمْ تلف أُمًا وَلَا أَبًا عَلَيْهِ وَلمَ تعرف عَلَيْهِ أَخًا لَكَا
(ابن زهير ك، 1997، ص5).

ردّ بجبر على كتاب أخيه، وأهم ما أورده: " قم إليه فاستأمنه"(الأنصاري ه ، شرح قصيدة بانت سعاد، ،ص3-4)،طلب كعب الجوار من الجميع، فأبَوا، وأشار عليه علي بن أبي طالب -كرّم الله وجهه- كما ورد عند (أبي زيد القرشي ، 1981، ص36-37)أن يصلّي الفجر مع الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- ثم يمدّ يده إليه، ويستجيره، وفي ذلك يقول:

وقالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنتُ أَمُلُه لاَ أُلفِيَنَّكَ إِنّي عَنكَ مَشْغُولُ

وفي هذا الموقف العصيب كان لابدّ من الرّحلة / الهجرة؛ الرّحلة إلى سيّد الخلق، وهجرة الحياة الجاهلية/ سعاد، التي أشار إليها في مطلع دُرّته، التي تبوأت مكانة مرموقة في عالم الشعر العربي بمقدار أنها جُعلت نموذجا لكثير من الدراسات، حيث تبارى العلماء في شرحها وتخميسها وتشطيرها كما أنها كانت "جائزة زكّت شعر المدح ودعمت مبدأ العطاء على الشعر دعما لا مزيد عليه" (المناعي م، 2006 ، ص46). وقد ذهب دارسو الأدب مذاهب شتّى في قراءتها؛ ومما أوردوه أنّها زوجه المفارقة، وقال آخرون: إنّها الحياة الجاهلية التي ولّت إلى غير رجعة، وأضاف البعض(سوزان ستيكيفيتش ،، ص88) أنّها مشتقة من السّعد واليمن والرخاء. واعتمد المادح/المعتذِر على اللغة كوسيلة لتحويل ما يداخله من انفعالات، بغية الوصول إلى موضوع القيمة/عفو الرسول (ص)، الذي كان في انفصال عنه، فحاول صوغ خطابه وفق الحالة النفسية التي اعترته، وقصد "أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس...لا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح"(المباركفوري ص، 1987، ص573) والدليل أنّ كعبا لمّا بلغ:

إِنَّ الرَسُولَ لَنُور يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَد مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

كساه النبي عليه الصلاة والسلام بردته التي "اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي كان يلبسها الخلفاء في العيدين"(بروكلمان ك، سنة النشر غير معروفة، ص156)

وبالتالي تشكلت رسالة خطابية، استطاع صاحبها بذلك أن يؤثر في متلقيه متخذا الإقناع سبيلا يسلكه في استقطاب غايته، وكما هو معروف أن الشاعر المعتذر عليه أن يذهب " مذهبا لطيفا، وليقصد

مقصدا عجيبا، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه... ويستجلب رضاه"(القيرواني ح، ، ص195). والمتمعن في القصيدة يجد كعبا إنتقل من غزل قصير إلى لوحة الرّحلة، التي شغلت المساحة الأكبر من النص، لإدراكه أهميتها، نتيجة لشدة تأزم نفسيته وخوفه الشديد وحيرته، فراح يبحث عن مراده في وجهة مختلفة تماما، لذلك انتقل سريعا من النسيب معتمدا حسن التخلّص إلى هذه اللوحة التي أبدع في تصويرها، فجاء "جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا " (ابن الأثير ض، المثل السائر، ص 121) بأسلوب حواري ذاتي يدل على قدرته الفعالة في نقل الأحداث.

. ومن هذا المنطلق فإننا نتساءل: ما مدى أهميّة الرّحلة في مسيرة كعب الاجتماعيّة والإبداعية على السواء؟ أم أنّها جاءت تقليدا فنيا لا غير؟ وما علاقتها بباقي أجزاء القصيدة؟ وما الإيحاءات الدلالية التي تحملها؟

والحقيقة أنّ الموضوعة شديدة الأهميّة لكون البردة تاريخاً خالداً خطَّهُ الأدب، استرعى وما يزال اهتمام الدارسين، ومن ذلك نذكر: شرح الخطيب التبريزي على قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير، وشرح ابن الأنباري (ت 304ه)، والقاضي الروياني في بحر الذهب (ت494ه)، وابن هشام الأنصاري (ت 761ه)، وابن كثير (ت774 ه)، والبغدادي (ت 1093ه)، والشنقيطي (ت 1393 ه)، وسيّد أحمد محمد، وسليمان العجيلي...

ب- المنهج:

وقد إعتمدنا آلية منهجية تقوم على الإفادة من أدوات المنهج السيميائي، وتكييفها بما يتماشى وخصوصية النص العربي. فالآلية تسعى لتعرية المعاني الخفية، ورفع الستار عن الإيحاءات التي أسهمت في نسج بنائه ككل، إذ " المعنى لا يبنى في الكلمات أو في الجمل، وإنما في النص بأكمله، إنّ موضوع إشكالية المعنى هو النص وليس العلامة " (راستييه ف، 2010، ص12) حيث تتراسل بنياته فيما بينها وظيفيا، كما هو الشأن بالنسبة للمقطع الرّحلي في نص كعب بن زهير، الذي لا يمكن تناوله بمعزل عن غيره.

فبعد الانتهاء من الغزل "يخرج الشعراء إلى وصف رحلاتهم في الصحراء، فيتحدثون عن قطعهم للمفاوز البعيدة، فوق إبلهم، ويأخذون في وصفها وصفا مسهبا"(ضيف ش، 2003، ص214) ما يثبت أنّ الرّحلة مشروع وجودي، يستهدف الحفاظ على حياة الأفراد، والارتقاء بها، ومن ثمّ نقل الشعراء تلك الموضوعة إلى الشعر العربي ، "ومن الطريف أنه كتب على أقطابه أن تكون حياتهم أو معظمها رحيلا مستمرا أيضا" (عيد ص، ص7)

والرّحلة باعتبارها "مشهدا ينتمي إلى النسق الثقافي العربي"(حليفي ش، 2006، ص9) هي الانتقال من مكان إلى آخر، يقال:" اِرتحَلَ القومُ عن المكان اِرتِحَالاً، ورَحَلَ عن المكان يَرحَلُ وَهو راحِلٌ من قَوم رُحَّلٍ: اِنتقَلَ...و الرِّحلَةُ والاِرتِحَالُ والرُّحلةُ، بالضمِّ، الوجه الذي تأخذ فيه وتُريدُه » (ابن منظور م، سنة النشر غير معروفة، مادة (ر ح ل). ويكون الانتقال لأغراض عديدة، جاء في محكم التّنزيل:﴿ أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِّينَ مِن قَبلِهِم ﴾ (سورة يوسف، 109)، أمّا بالنسبة إلى كعب فهي

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

صورة من صور الدفاع عن الحياة الجديدة، والاتصال بموضوع القيمة الذي خرج في طلبه، أو الحصول على شهادة ميلاد جديدة، بعد إهدار دمه. وقد خطَّت أولى سطورها في القرن الثامن للهجرة. إنّه " يسافر ليتجدد شخصا ونفسا " (ضناوي س، 1993، ص195)، ويتلبس بتعاليم الإسلام السمحاء. فصاغها وفق طريقة العرب في بناء القصيدة، ومن أجل التأثير في المتلقي وإقناعه، عاد إلى العصر الجاهلي واستلهم منه أوصاف الناقة التي امتطاها للوصول إلى الممدوح وإلى السعادة الحقيقية التي أصبحت في أرض بعيدة، لا تصلها إلاّ الإبل الصّلبة، العتيقات، النجيبات، المراسيل، أي الكرام، وفي هذا إشارة إلى قضية النسب التي احتلّت مكانة هامة عند العرب في الجاهلية والإسلام على السواء؛ فقد كانوا أمّة تقدّس النسب، لدرجة أنّهم أضفوه حتّى على الحيوان، وحقّ لكعب أن يفتخر؛ فهو من بيت كريم، شاعر، من جهة أبيه وأمّه كلهما. ثمّ إنّه يقصد أكرم الخلق، ومن يقصد مثله عليه أن يدقّق في ركوبته، وصفاتها، لأنّ الرّحلة مصيرية، إنّها " ليست تيها لا معنى له " (ضناوي س، 2003، ص140)، وها هو يصف رفيقة رحلته (من البسيط) حيث " سيبدأ الصراع بِطيّ المسافات وقهر العوائق " (مسكين ح، ص83) يقول في ذلك :

أمسَتْ سُعادٌ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُهَا إلاَّ العِتَاقُ النَجِيبَاتُ المَرَاسِيلُ

وَلَــنْ يَبلغَهَــا إلاَّ عُذَافِــرَة فِيهَا عَلى الأيْنِ إرْقَـالٌ وتَبْغيلُ

بسبب ما خلّفه "بَيْنَ المحبوبة في نفسه من هموم وأحزان" (جياووك ع، 2014، 314) ظلت الناقة رفيقة الشعراء الوفيّة؛ فها هو كعب امتطاها إلى النبي(ص)لينشده قصيدته. وقد احتل وصفها موقعا متميزا، فبعد وصف المحبوبة الحسي والمعنوي انتقل إلى الرحلة باعتبارها ثابتا من ثوابتها، يتخللها وصف دقيق للناقة التيمة الأساسة في حديث الرّحلة، وسبيله لاسترجاع موضوعه المفقود (الراحة والأمان) وهي "الوسيلة المادية الوحيدة المراهن عليها لتقليص مسافة البعد الفاصلة بين الشاعر/العاشق وسعاد/ المعشوقة"(عدناني م، ص27)ولابدّ للرّاحِلة التي سيعتلي متنها في رحلته الوجودية المصيرية من صفات خاصّة، وفي ذلك يقول:

مِنْ كُلِّ نَضَاخَــة الذَّفْرَى إذَ عَرِقَتْ عُرضَتُهَا طَامِسُ الأَعْـلاَمِ مَجْهولُ

تَـرمي الغُيُــوبَ بعَيْني مُفـرَدٍ لَهـَقٍ إذا تَوقَّـدتِ الحـُزَّانُ والمِيـــلُ

وعلى ديدن الشعراء قبله، شبّه ناقته بالثور الوحشي الشديد البياض، واللّون الأبيض "دليل شرف" (خليف ي، سنة النشر غير معروفة، ص109)، كما صوّره منفردا عن القطيع بالأرض الغليظة / الحزن، وتوحي هذه العلامة بأنّ الثّور ما هو إلاّ كعبا، وقد انفض الناس من حوله، وتركوه يواجه قدره (والملاحظ أنّ كعبا لم يقف طويلا عند صورة الثور، ولم يعرها من الاهتمام ما كان الشعراء يعيرونها)، ولذلك حشد المزيد من علامات القوّة، ولو على المستوى المتخيّل، فتابع يصف الناقة. وعلى الرغم من صفات القوّة التي توالت في نصّه، إلا أنّها تعكس، في قراءة أكثر عمقا، ذاته المملوءة بالرهبة من المجهول، لكنها لا تخلو من الرغبة في المتابعة، فوصف صعوبة الطريق المملوءة بالمخاطر فهو طامس الأعلام، لكن رغم ذلك يلح " على إحساس الناقة الغريزي بطريقها رغم أنه طريق طامس الأعلام ، كذلك نلمح في عينيها اللتان تثقبان

الغيوب بصيرة الشاعر الروحية، وفي ذلك نرى الشاعر نفسه وهو يتجه إلى المدينة وإلى رسول الله ليواجه مصيرا مجهولا"(ستيكيفيتش س، ، ص89)، كل هذا ليقنعه بأنه رغم صعوبة الطريق إلا أن رغبته في دخول الإسلام كبيرة حتى وإن واجهته صعوبات لا تحصى. فشحن الوصف، وحمّله طاقات تعبيرية تتناسب وغايته، ثم مضى في تِعداد صفاتها؛ فهي ناقة قوية، سريعة، هزيلة لكثرة سيرها، يقول في ذلك:

ضَـخْمٌ مُقَلَّـدُهَا فَعمٌ مُقَيَّدُهَـــا فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الفَحْلِ تفْضِيلُ
غَلْبـاءُ،وَجْنَـاءُ،عُلْكُـوم،مُذَكِرَةٌ فِي دَفِهَا سَعةٌ، قُدامهـا ميـــلُ
وَجِلدُهَـا مِنْ أَطُومٍ مَـا يُؤَيِسُـهُ طِلْحٌ، بِضَاحِيَـةِ المَتْنَينِ، مَهْزُولُ
حَرْفٌ أَخُوهَـا أَبُوهَـا مِنْ مُهَجَّنَة وَعَمُّهَا خَالُهَـا قَـوْدَاءُ شمليـلُ
يَمْشِي القُـرَادُ عَلَيْهَـا، ثُمَّ يُزلِقُـهُ مِنهَا لبَانٌ، وأَقرَابٌ زَهَالِيـــلُ

واضح من الأبيات أنّه وسمها بضخامة العنق وطوله، واكتنازها وسمنتها، وضمورها في مواضع بعينها كالخصر، ما يجعلها خفيفة نشطة أثناء السّير. بعدها يلجأ إلى التشبيه باعتباره نسقا تصويريا وظيفيا، أو كما قال (امبرتو ايكو، ص69) علامة بالغة التعقيد، تتطلب جهدا ثقافيا، عكس العلامات التواصلية العادية، فأخذ يشبهها بالعِير/ الحمار، القويّ، المفتول المرافق، على عادة شعراء الجاهلية؛ لأن مهمته تستدعي استحضار صفات القوّة، لمواجهة الموقف، وتخطّي مرحلة الهامشية، و"البحث عن الانعتاق والتحرّر" (مونسي ح، 2001، ص19)خاصة وأنّه اتّخذ قرارا صائبا لحفظ أودِه، وما عليه إلاّ المضيّ فيه بكلّ عزيمة، يقول:

عَيْرَانَةٌ قُذِفت في اللَّحمِ عَنْ عُرضٍ مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّورِ مَفْتولُ
كَأَنَّ مَا فَـــاتَ عَينَيهَا وَمَذبحَهَا مِنْ خَطمِهَا ومِن اللَّحيينِ بَرطِيلُ

أتى بعدها على وصف ذنبها وذيلها، مما يدلّ على دقّة الملاحظة التي يتميز بها الشعراء من جهة، واهتمامهم بالإبل باعتبارها عنصرا لا يُستغنى عنه في حياتهم من جهة أخرى، كما ذكر أوصاف أنفها وأذنيها وقوائمها بكثير من التفصيل، وراح يتابع حركتها الدؤوب وهي تعلو الأكام ثمّ تغيب في السراب، مثبتة أنّها "خير وسيلة جاهليّة لتغيير الواقع المأساوي بالفعل والعمل"(عليمات ي، ص118) فقال في ذلك:

تَمُرُّ مِثلَ عَسَيبِ النَّخْلِ ذَا خُصلٍ فِي غَارِزٍ لمَ تَخَوَّنه الأَحَالِيـــلُ
قَنْوَاءُ فِي حُرَتَيها، لِلبَصِير بهـــا عِتْقٌ مُبَيَّنٌ، وفِي الخَدَّينِ تَسهِيلُ
تَخذِي عَلَى يَسرَاتٍ، وهِي لاَحِقَةٌ ذَوابِلٍ، وَقْعُهُنَّ الأرضَ تَحلِيـــلُ
سُمْرُ العَجَايَاتِ يَترُكنَ الحَصَى زِيمًـا لمَ يَقِهِنَّ رُؤُوسَ الأُكمِ تَنعِيـــلُ
يومًا يَظَلُّ به الحِربـاءُ مُصْطَخِمًا كَأَنَّ ضَـاحِيَه بِالنَّارِ مَمْلُـــولُ
يَومًا يَظَلُّ حذابُ الأَرضِ يَرفَعهَا منَ اللَّوَامِـــعِ تخليطٌ وتَزْيِيـــلُ
كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَـا وَقَدْ عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالقَورِ العَسَاقِيْـــلُ
وَقَالَ لِلْقَومِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ وَرَقَ الجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى قِيلُوا
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعِا عَيطَلٍ نَصَـفٍ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نَكْدٌ مَثَاكِيـــلُ

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

نَوَاحَةٌ رِخْوَةُ الضَبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَـا لمَا نَعَى بِكْرُهَا النَّاعُونَ مَعْقُـولُ
تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا ومِدْرَعِهَـا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَـا رَعَابِيـلُ

هكذا، إذن، تشكّلت لوحة الرّحلة عند كعب في هندسة شعرية مميّزة، حيث ألفيناه كما يقول (جابر عصفور، 1992، ص64) يتناول الأفكار الهامّة للقصيدة أو اللّوحة ويوّحد بينها بالنظر إلى كلّ الأفكار الواردة في نصّه، ويعدّلها في علاقتها بها، وكذا في تعالقها بغيرها من المكونات النصيّة. بما يقبله العقل، وما تمليه الذائقة، تحت مسمى جماليات الشعرية الشفوية. وقد كان النص في كليته عبارة عن " سلسلة من الحالات والتحولات " (العابد ع، 2008، ص35)؛ بدأت بالحديث عن سعاد / الجاهلية، ثمّ انفتحت على رحلة خطرة في مجاهل فضاء الصّحراء، كلّلت بالعفو والحصول على الجائزة.

ج- النتائج:

لقد أسلمنا البحث إلى جملة نتائج يمكن عرضها طبقا لمنطق التدرّج كالتالي :

- يعتبر المقطع الرّحلي جزء من رائعة كعب بن زهير؛ بانت سعاد، وقد قيلت في مدح سيّد البشر -صلّى الله عليه ولم- والإعتذار إليه؛ بعد ما صدر عن كعب من هجاء للإسلام والمسلمين.
- القصيدة مشروع وجودي مؤسس، له تقاليد خاصة، دأب الشعراء على إستحضارها في قصائدهم منذ العصر الجاهلي.
- القصيدة بمثابة إستراتيجية، تستهدف تغيير الحكم (إهدار دمه) الصادر في شأنه.
- الرّحلة مقطع تحفيزي وسط عناصر أخرى، لذلك لا يمكن تناوله منفصلا عن البنية الكليّة للقصيدة؛ كون هذه المقاطع تتراسل فيما بينها، مشكّلة وحدة.
- الرّحلة في قصيدته نوعان: مادية؛ تتمظهر من خلال حديث الرّاحلة وأوصافها، وما واجهها من الصعاب في المفازة، ومعنوية؛ تتبدّى من خلال نيّة كعب الصادقة في هجرة الحياة الجاهلية، بكل ما يحمله هذا الدّال من مداليل.
- الناقة وسيلته في التخلص من الهمّ، وهي الفارق بين عهدين: الجاهلية بكلّ أدرانها، والإسلام وما جلبه من سعادة ويُمن.
- أضفى كعب على ناقته من الصفات ما جعلها ناقة أسطورية؛ قادره على تجاوز صعاب المفازة، وصولا إلى ممدوحه. وتؤكد تلك الصفات على أنّ الشاعر يمتح من الإرث الجاهلي.
- شبّه كعب ناقته طورا بالثور الوحشي، وتارة بالعير / الحمار الوحشي، ووجه الشبه في ذلك السّرعة.
- تمكن كعب أخيرا من الإتّصال بموضوع القيمة؛ حيث وصل إلى الممدوح، واَعتذر إليه، ونال غايته وهي العفو، ولم يكن ذلك ليتمّ لولا رحلته إلى الرسول (ص)، وإلقاء القصيدة على مسامعه الطيّبة.

د- مناقشة النتائج :

واضح مما ورد النتائج: أن قصيدة " البردة " وليدة الظرف الخاص الذي عاشه كعب، واَضطره إلى اللجوء لطلب العفو من النبي(ص) بعد أن تخلت عنه قبيلته، وأصدقاؤه، مما زاد من حدّة توتره، ولمّا تلاشى أمله نهائيا، كان عليه البحث عن وسيلة أخرى للنجاة من وعيد الرسول (ص) الذي كان يرى فيه، ذلك الملك

الطاغية الذي يبعث الرعب في النفوس، لكنّه وجد الواقع خلاف ذلك؛ إذ عفا عنه وكساه بردته الشريفة، وهكذا تمّت الرّحلة على كلّ المستويات من الحياة الجاهلية، إلى حياة السّعد الإسلامية، على متن ناقة ذات صفات أسطورية، اِستوحاها كعب من المتخيّل الشعري الجاهلي - خاصّة صفات ناقة طرفة بن العبد- إلاّ أنّه حين اِعتمد نسق التشبيه بالثور الوحشي، مثلا، لم يعمد إلى بناء صورته كما فعل أسلافه؛ ومرّد ذلك إلى أنّ الناقة / الثّور لم تتجاوز كونها وسيلة لبلوغ موضوع القيمة؛ وهو الوصول إلى الحبيب المصطفى، ونيل عفوه، وأنّ التشبيه لم يكن غرضا في حدّ ذاته، وقد تمكن أخيرا من نيل مراده، يدلّ عليه اِنخراط كعب في المجتمع الجديد، وتحوّله إلى عضو فعّال فيه. كما لاحظنا أن المقطع الرّحلي لم يأت منفصلا عن باقي أجزاء القصيدة؛ ما يثبت أنّ سيرورتها خاضعة للوحدة النفسية.

إنّ قصيدة كعب بمثابة جواز سفر من عالم إلى آخر مختلف، على مستوى القيم خاصّة، وعلى الذي يتناولها ألاّ يُغفِل الحديث عن قيمتها التي تتمظهر في أمور كثيرة، أقلّها؛ أن الأقلام توجّهت إليها بالدراسة والشرح...كما أنّها تجسّد دور الأدب على الصعيد الإجتماعي، وأبسط مثال على ذلك اِنحياز الشاعر إلى الطائفة المؤمنة، وحسن بلائه بواسطة الكلمة، التي لم يقلّ يوما دورها عن غيرها من وسائل الحرب.

هـ: خلاصة عامة:

يتنزل النص في سياق وصف الناقة التي اِنتقل بوساطتها من عهد إلى عهد، فهي الفيصل بين الظلام / الجاهلية والنور/ الإسلام، وفي مقابل ضعفه الناجم عن اِضطرابه وقلقه، أضفى عليها صفات القوة، ما جعلها ناقة أسطورية، أحالتنا على عراقة البيت الشعري الذي ينتمي إليه؛ حيث أحالتنا على الصفات نفسها التي أضفاها طرفة بن العبد على ناقته، التي إتّخذها وسيلة لإعادة الإنضواء في المجتمع. ويبقى نصّه مجالا خصبا للدراسة، بالنظر إلى قيمته الفنية، وحبذا لو تركز الدراسات اللاّحقة على النظر إليه كوحدة ملتحمة، تتراسل أجزاؤها بما يتوافق ومسار المعنى الذي ترسمه القراءات المختلفة، تباين رؤى أصحابها، بالإفادة من كلّ ما يمكن أن يفسر النص من الداخل أو الخارج، ويحقق شعريته.

****

المصادروالمراجع:

القرآن الكريم.

1- الأنصاري ابن هشام(ت 761ه)، دت شرح قصيدة بانت سعاد، بهامشه حاشية: ابراهيم الباجوري، درط، دب.

2- ابن الأثير ضياء الدّين (ت637ه)، دت، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ط2، القاهرة، نهضة مصر للطبع والنشر.

3- ايكو امبرتو ، 2010، العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، ط2، المغرب، بيروت، المركز الثقافي العربي.

4- بروكلمان كارل، 1119،تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، ط5، القاهرة، دار المعارف.

5- بن زهير كعب، 1997، الديوان، درط، بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.

6- بنكين ستيتيكفيتش سوزان، 1989،أدب السياسة وسياسة الأدب، درط،دب، الهيئة العامة للكتاب.

7- جياووك مصطفى عبد اللطيف،2014، الحياة والموت في الشعر الجاهلي، ط1، بيروت، البصرة، منشورات ضفاف، دار الفكر للنشر والتوزيع.

8- خليف يوسف، دت، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، درط، القاهرة، مصر، دار المعارف.

9- حليفي شعيب، 2006، الرّحلة في الأدب العربي- التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيّل- درط، دب، رؤية للنشر والتوزيع.

10- راستييه فرنسوا، 2010، فنون النص وعلومه، ترجمة: ادريس الخطاب، ط1، المغرب، دار توبقال للنشر.

11- ضناوي سعدي، 1993، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي،ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر اللبناني.

12- ضيف شوقي،2003، تاريخ الأدب العربي، ط24 ، مصر، دار المعارف.

13- العابد عبد المجيد، 2008، مباحث في السيميائيات، ط1، دب، دار القروين.

14- عدناني محمد، 2006، تكامل القصيد والخبر في قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير،ط1، الرباط، جذور للنشر.

15- عصفور جابر، 1992، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي.

16- عليمات يوسف، 2004، جماليات التحليل الثقافي - الشعر الجاهلي نموذجا- ط1، عمّان، الأردن، وزارة الثقافة.

17- عيد صلاح، دت، الرحيل في تاريخ الشعر العربي، درط، دب، مكتبة زهراء الشّرق.

18- القرشي محمد الخطاب، 1981،جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي، درط، مصر، نهضة مصر.

19- القيرواني الحسن بن رشيق، 1985، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق الحميد هنداوي، ط1، بيروت، المكتبة العصرية.

20- مسكين حسن، 2005، الخطاب الشعري الجاهلي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي.

21- المباركفوري صفي الرحمان، 1987، الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، درط، المنصورة، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر.

22- المناعي مبروك، 2006، في إنشائية الشعر العربي، مقاربات وقراءات، ط1، دب، دار محمد علي للنشر، مركز النشر الجامعي.

23- ابن منظور محمد بن مكرم، دت، لسان العرب المحيط، قدم له: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف خياط، درط، بيروت، لبنان، دراسات لسان العرب.

24- مونسي حبيب، 2001، فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، د.ط، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.